

تحقيق

غزة المحاصرة تنفس من مصر

مع تصاعد وتيرة الاعتداءات الإسرائيلية على قطاع غزة، خفقت قلوب «غزاوية» في لبنان على أهل وأقارب يقيمون هناك. فسارع الأهل في لبنان إلى الهاتف للاطمئنان، سائلين أحببتهم في القطاع: «طمنوننا عنكم، شو الأخبار؟»، ومنهم من بدأ يفكر في الذهاب إلى هناك من طريق مصر... المحررة

خالد الغريب

عاد الإزدحام إلى سنترالات صيدا ومخيمي عين الحلوة والمية ومية، مع تصاعد الاعتداءات الإسرائيلية على القطاع المحاصر. هكذا، يقف الغزاويون من أهل مخيمات صيدا ينتظرون دورهم للتحدث إلى الأهل، متخوفين من استفادة إسرائيل من أنظار العالم مسلطة على ليبيا واليمن ومصر والبحرين، لشن عدوان مدمر كالأخير الذي شنته على القطاع. إلا أن الثورات العربية ليست مصدر تخوف لأهل غزة، حين تعرف أن الغزاويين باتوا يتنفسون قليلاً من جهة مصر، تماماً من المكان الذي أراد مبارك ونظامه أن يبقفه على رفات الغزاويين.

«غزة لا تهتزي، شدة روح بتزول»، يهتف محمود الأسود (60 عاماً)، وهو غزاوي من سكان مخيم عين الحلوة، بعدما أنهى للتو مكالمته هاتفية بابنته سعاد، التي هاجرت منذ سنين، والمقيمة هناك في حي الزيتون في القطاع المحاصر منذ أكثر من أربع سنوات. انفجرت أسارير الرجل بعدما أبلغه حفيده مروان (سبع سنوات) أن غارة إسرائيلية استهدفت حينهم، لكنها لم تصبهم بأذى. «ماما وبابا وإخوتي بخير»، قال الولد، وأردف بلهجة الصغار الذين يرددون ما يلقنهم إياه الكبار: «وبسك إيشي يا سيدي؟ أنا رايح للمدرسة». أكثر من ذلك، لم يكن الجد يريد شيئاً. الحمد لله، قال: فهو لم يكن قد نام ليلته بعدما شاهد على شاشات التلفزة صور الطائرات الإسرائيلية تقصف حي الزيتون، وعرف أن هناك قتلى وجرحى سقطوا. «كيف لي أن أنام وبالي مشغول على ابنتي وعيالها الستة هناك؟»، يقول لـ «الأخبار». هواجس الليل بددها اتصاله النهاري بابنته التي أبلغته قائلة: «بابا مافش إيشي هون، وكلنا بخير».

مع ارتفاع وتيرة الاعتداءات على القطاع، ارتفعت وتيرة الاتصالات. هكذا، «عدل» غزاويو لبنان من «أجندة» أولوياتهم. كان يكفيهم اتصال واحد في الشهر بجروته المتسارعة رفعت من حرارة الاتصالات للاطمئنان. أم محمود العلايلي باتت تجري اتصالات في الأسبوع الواحد بأشقائها في منطقة رفح داخل القطاع، قائلة: «نظراً إلى قلقي على أشقائي الخمسة وأولادهم، لم يعد الاتصال الشهري يكفي، أتصل أكثر من مرة في الأسبوع، وحيث تدعو الحاجة». في آخر اتصال أجرته مع شقيقها أبو حسن، أخبرها أن الوضع متازم في القطاع «لكننا غير خائفين من احتمال شن إسرائيل عدواناً على القطاع ككل». ورغم ذلك، طلب أبو حسن من شقيقته أن تكثر من الدعاء «بأن يحمينا الله من شرور إسرائيل»، التي قد تستفيد

مكالمات كل فلسطيني في عين الحلوة مع غزة فاقت في أسبوع واحد مئة اتصال (أرشيف - الأخبار)

من أوضاع عربية مضطربة، والتهام العالم بأخبار ليبيا والبحرين وغزة عدواناً على قطاع غزة. تنقل أم محمود ذلك عن شقيقها الذي يعمل مدرساً في وكالة غوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين، ولم تره منذ عام 1989، لكنها تتواصل معه عبر الهاتف. تتنهد بعد أن تقول ذلك وتشرّد قليلاً، ثم تقول كمن وجد فكرة: «أفكر جدياً في الذهاب إلى غزة للقاء أشقائي، ربما من طريق مصر، فقد تغيرت الأوضاع الآن هناك، وأصبح باستطاعتنا العبور». تبتهج لمجرد الفكرة، وتقول



مصر مع سقوط حسني مبارك ما عادت تطعننا في ظهرنا



فجأة كمن أدرك أن حلمه قد يتحقق: «عندها، سأحدثكم مباشرة من غزة وسأرسل لكم صوراً للقائى بهم»، تقول تلك العبارة وتبتسم كمن اكتمل نهاره بالرضى.

«صامدون هنا، ولن ترهبنا إسرائيل» ينقل متصلون عن أقاربهم «هناك»، مؤكدين أن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، وحتى النفسية لا تشبه تلك التي كانت قائمة قبل مدة؛ فقد باتت أفضل بكثير، «في عدنا مواد غذائية كثير وأدوية متوافرة أيضاً، ولا داعي للقلق»، هكذا أبلغ غزاوي في القطاع

شقيقته التي تسكن في منطقة وادي الزينة شمالي صيدا. تحسن شروط مواجهة أبناء القطاع لاحتمال عدوان إسرائيلي جديد على غزة مرده، كما ينقل متصلون بأقاربهم، إلى الأوضاع الناشئة راهناً في مصر. شاكر عوض غزاوي يعيش في صيدا «شاطرنا» الاستماع إلى مكالمته الهاتفية بشقيقه محمد في منطقة خان يونس عن آخر التطورات. معنويات الشقيق كانت عالية، وهو جزم بأن إسرائيل لن تقدم على أي عدوان جديد؛ لأن فرص مواجهته في الوقت الراهن أعلى بكثير من السابق. وعندما سألناه عن سبب إصراره بتفأؤله هذا، يجيبنا بمنطق المحلل السياسي: «الأوضاع مختلفة، مصر مع سقوط حسني مبارك ما عادت تطعننا في ظهرنا، لا بل إن مبارك الذي فرض حصاراً غير إنساني ولا أخلاقي علينا، مانعاً شربة الماء والحليب ومعالجة الجرحى سقط، واستعدنا عمقنا المصري، وحدودنا مع مصر مفتوحة»، ينهي محمد الذي غادر لبنان إلى غزة بعد اتفاقات أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير مكالمته مع «الأخبار» بدعوتنا إلى زيارة القطاع «والله ليه ما بتشرفونا، الوضع منيح، بتيجوا عن طريق مصر».

«وتيرة الاتصالات مع غزة ارتفعت بنسبة عالية في الأسبوعين الأخيرين في عين الحلوة، وأيضاً في المية ومية، بسبب الاعتداءات الإسرائيلية»، يخبرنا صاحب سنترال للاتصالات الدولية في مدينة صيدا، ويضيف أن مكالمات الفلسطينيين مع غزة عبر سنتراله «فاقت في أسبوع واحد مئة اتصال»، مع العلم بأن آخرين يفضلون إجراء اتصالاتهم من منازلهم.

زينكو هاوس

رقصة البحر الأخيرة... لفيتوريو



فيتوريو أريغوني (شعيب سالم - رويترز)

غزة - أسماء شاكر

ينفضُ قُبَعته من شعره الدبِق بالغرَق وملح الموج، يلوخُ من بعد يدراعيه الموشومتين كأنه يختزل الريح والمسافة الباقية من الماء، وهو يقاسمُ أصدقاءه الجد الخبز والشوق إلى ما جهلونه هناك، يلفظون أسماء بعضهم بلغات متكسرة ويضحكون، قبل أن يصيبهم ذلك الفرح المفاجئ حتى البكاء، عندما يصير شاطئ الميناء أمامهم، من مراكب وأطفال ينثرون ورد القرنفل الملون على وجه البحر. هناك ابتدأت قصة ذلك الإيطالي الذي كان يغني بصوته الأجنس «أنا رايح... وأشد على أياديكم»، فيمط الكلمات بطريقته الخاصة والمضحكة قليلاً، ولا يلبث أن يهدأ صخبه، يكف عن التلويح والرقص، لينحني بغتة ويقبل تراب الأرض التي أحبها، يغطي عينيه بساعده كطفل ويكي.

فيتوريو كان يشبه زوريا اليوناني كثيراً، بملابسه الرثة

التي بهتت في الشمس، بقبعته القديمة المنسخة، بحذائه المهترئ الضخم وسيجاره الكوبي. كان يشبهه حين يبكي وحين يفرد يديه في الهواء ويرفع قدميه عن الأرض ليبدأ الرقص في أي مكان، في الشارع أو المقهى، أو حتى على الحدود أمام أليات الجنود وخوذهم العسكرية، فيوشك على الغناء لهم أحياناً ببوقه اليدوي الذي يستخدمه ليقول لهم بالإنكليزية: «نحن مدنيون وغير مسلحين، نريد فقط أن نساعد المزارعين ليحزوا جثة شهيدهم الذي قتلتموه عند السياج، عندما كان يحصد القمح ويجني حبات الفراولة الناضجة في أرضه»، فيرددون عليه هو وزملائه بالرصاص. لكنه حين يخرج فجرأ مع صيادي البحر بكاميرته وبوقه، ليرافقهم في رحلة موت أخرى باتجاه أمتار قليلة محظورة على شباكهم، كان يقف كبحار قديم أت من بلاده البعيدة، يتفادى رشاشات الطراد الإسرائيلي السريع، وهو يشق البحر ليغرق



«نحن بخير طموننا عنكم»، عبارة ليست أحادية الاتجاه من عين الحلوة باتجاه القطاع؛ فإبناء القطاع يتصلون أيضاً للاطمئنان على أحوال أهلهم في عين الحلوة، الذي شهد أخيراً حوادث أمنية عدة، ما دفع بالعديد من أبناء القطاع إلى مهاجرة أقاربهم هنا، كما هي حال ابتسام ممدوح التي اتصلت من غزة بإخوتها في عين الحلوة، بعد سماعها من التلفزة أن قنابل وإطلاق نار جرى داخل أزقة المخيم. سألت شقيقها: «كيف الوضع؟ طمني، على الأقل هنا في غزة منعرف إنا إسرائيل عم تضربنا، بس بالمخيم مش معروف مين ضد مين، الله يعينكم».